

الاول وهو يقضي باعتبار كل محرق للفحم الحجري مذنباً جداً حتى انهم وجدوا مرة رجلاً يشعل فحمًا فاخذوه وشنقوه في الحال اما الان فانهم اذا كانوا لا يحرقون الفحم في انكلترا فان ذلك يعد عليهم بمثابة الشنق ويقضي على البلاد كلها بالخراب التام لانه لا يبيض وجهها الا ذاك السواد

— قلب المرأة —

كانوا ثلاثة يتجاذبون الحديث على شاطئ البحر وللأمواج حركة دائمة في الهجوم والارتداد وازباد لا تكاد تبدو منه الاثار حتى يتلاشى فيصبح خبراً من الاخبار . ويالله من البحر ما اغرب طباعه فهو العظيم في لانهيته حتى يحسب المسافر نفسه وقد غابت عنه اليابسة وراء الافق انه عادر وحاً من الله تطفو على سطح الماء . والعارف حده الواقف عنده والجبار العزيز صاحب الحول والطول والذليل الوضع يعطي الانسان ظهره فيقتاده من غير زمام والمتمكن في حمله حتى تحسبه بساطاً من سندس النبات والهائج في سخطه حتى تنزعج منه الارض والسموات

اما الثلاثة فكانوا اليس وزوجها من بني الاميريكان وشابا فرنسويا من نخبة الشبان كانه لما قسمت بقية التفاحة ارث امنا حواء على بناتها من بعدها كان لاليس اوفر حصة منها فافاتها فردوس حتى استعاضت عنه بفردوس اتم كانت تمرح منه في نيم بهيج داني القطوف وما كان فردوسها الذي تنعم فيه الاجمال هو الجحيم لمن تعشقه يشقى فيه ويحترق بناره .

والظاهر انه كتب على الرجل ان لا يتمتع بسعادة الفراديس عن يد النساء
فقد اوجد بالفردوس الاول فكان عليه بسبب المرأة نحساً وشؤماً ولا يزال
حتى الان كلما دنا من امرأة وهو يظنها فردوساً انقلب ما يتوهمه لديها سعادة
واغتراباً الى شقاء وهم

وما كانت الیس كعامة النساء بل كانت جامعة لكل ما تتخيله النفس
من المعاني الخفية كالخيال الرقيقة كالشعر ولكل ما تشتهيهِ الخواس الحس فالحس
ترتع منها في ابهج روض من الحسن والبهاء وتتمتع باجل ما رسمته يد الخدق
والابداع والاذن تتشرف منها بحديث ليس صوت الموسيقى باطرب منه
ولا بالذ منه وقعاً والانف ينشق مما يتضوع منها عرفاً دونه العرف الطيب
بل دونه عبير المسك او ارج الروض وقد عمرت عليه نسيمات السحر وبلله
ندى الصباح واللسان يرشف من رضاها ما ينسيه طعم الشهد والعسل واليد
تلمس منها هيكل الحسن مجسماً فتحسبه دمية من ناصع المرمر وما هو الا
خلق سوي من ماء وطین سبحان من سواه

وما اشد المشابهة بين طباع البحر والمرأة في تقلب الاطوار وبعد القرار
ولنا على ذلك من هذا الحديث اكبر برهان

التفت الزوج وندعوه باسم ويليم الى امرأته بعد حديث تافه تناول
اشياء حجة على غير طائل فقال لها أما انت عازمة على الاستحمام قالت بلى
ولكن ليس الان فاني سانتظر ريثما يهدأ البحر ويسكن نأثر غضبه وهو
ما لا بد من حدوته بعد قليل على ما اكده لي صاحب الحمام وسابق بصحبة
المسيوروبر (وهو اسم الشاب الفرنسي) الى ان تنتهي من حمامك او
اعزم على الالحاق بك ثم غاب زوجها وعاد فبان بعد قليل على شاطئ البحر

وهو بلباس الحمام وقد برز بطنه المنتفخ تحمله رجلاه القصيرتان في رسم الظل له خيالا من اقبح الخيالات . وكان البحر لا يزال على ازباده تتعاقب جيوش امواجه وهي في صدام دائم وليس على الشاطئ الا بعض افراد من الناس ومنهم صاحب الحمام لقيه المستر ويليم وهو نازل الى البرقاوصاه بعدم الابتعاد عن الشاطئ وبالحد من تيار كان شديداً في ذلك اليوم ولكن صاحبنا الاميركاني لم يعبأ بهذه الوصية اذ اجاب عليها بقوله ان من كان مثلي يسبح كالسمكة لا يبالي بامثال هذه التيارات ثم القى بنفسه الى الماء واعتنق اللجة وخاض غمراتها

ولم يكدر روبر يرى نفسه مختللاً بناهبة لبه الهة ذلك الحسن حتى التفت الى اليس . تهلل الوجه بشراً وسروراً وقال لها ينوب جنائي وعيناى عن لساني القاصر في شكرك على ما اوليتني من المنة باسعادي بهذه الفرصة الثمينة التي تمكنتي من التحدث معك بعيدين عن عين الرقيب وسمعه - اني لا افهم ما تقول واية فرصة تعني وانا لم اتعمد شيئا مما ذكرت - ياللعجب أو ما كان امتناعك اذن عن الاستحمام حجة لبقائك معي تنمى من الحديث - يا لله من الرجال ما اشد غرورهم واقربهم الى الانجذاب لما يزينه لهم وهم الزهو والاعجاب

وان كلمة واحدة من هذه الكلمات الجارحة كانت تكفي لان تصيب مقتلاً من اي شاب كيف كان شأنه فتلقيه صريعاً بين يدي تلك القتالة فكيف روبر وهو الرقيق الحس اللطيف الشعور فانه شعر من فعل هذه الصدمة بذل الساقط عن عرش كبريائه ويأس المجرى من وثيق امله ووطيد رجائه ثم تركته وعادت اليه بعد قليل وقد خلعت ثيابها ولبست لباس الحمام

فدنت منه وهي تضحك من حزنه وغمه وهو يشوى منها على احر من
 الجمر وقالت له تكرم ياسيدي روبر واحكم لي رباط ثوبي الذي انفك قالت
 هذا وادارت له ظهرها فبان من تحت لباس الحمام الحريري الذي يكسوها
 بشرة هي الثلج بياضاً بل انصع فامد روبر يده لاحكام الرباط حتى اخذ
 يرامد وتولته رعشة من ام رأسه الى اخمص قدمه كمن مسه سلك الكهرباء
 مما ضاع معه الكتمان فباح لها بوجده قائلاً: كفى كفى يا اليس فقد اضمت
 صوابي واعدمتي رشادي ولم يعد لي طاقة على احتمال هذه الحال معك -
 كيف ذلك وما الذي جرى - اسمعي يا اليس فلا بد من الكلام معك
 بالصراحة التامة وهو ما ارجوك ان تقابليني بمثله فما قد مضى ثلاثة شهور
 لهوت بي في أنائها كما يلهو الطفل بلعبته ولهوت انا باوهاي فيينا اتوهم في
 المساء اني خطوت معك خطوة الى الامام اذا بي ارى نفسي في الصباح
 حيث كنت بالامس فانا على حد قول الشاعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
 - انك لا تدري يا روبر شيئاً كبيراً من العاب المداعبة وفنونها - ان
 الحالة التي بلغت اليها ليس في شيء من هزل اللعب بل هي من جد الحب
 الذي برح بي فلم يعد لي الى اخفائه من سبيل - ويلاه وماذا عساي اصنع
 أو لعلك تظن بي السوء فتحسب اني امرأة ساقطة يهون عليّ بذل عرضي
 وتلم شرفي في هذا السبيل - انك غريبة الاطوار يا اليس فلو كنت في
 الحقيقة حيث تدعين لاستأصلت في البدء جرثومة مطامعي التي ما كانت
 لتخفي على مثلك ولما تركتها تنمو وتشتد مع الايام حتى بلغت ما بلغته الان
 لا سيما وانه ليس ايسر للمرأة من الدلالة على عزة جانبها وامتناع قربها

للرجل الذي يعلل نفسه منها بامل او يطعمها بوصل ولكن انت بدلاً من
 ذلك فقد اعرت لاحاديث تلطفي ثم تحبي اذنًا واعية وقلبا سامعا فهدت لي
 سبيل الانطلاق في ميدان الحب وجرأتني على اقتحام مخاوف ما كنت
 لاقتحمها لولاك وفوق ذلك ألم تسمح لي امس بقبلة من فمك الحلو .
 وهل بعد ذلك من دليل على رضاك عني وتشجيعك لحبي - كفى يا روبر
 تقريبا وتوبيخا ولم يبق الا ان تحسب علي انفاسي ذنوبا . ثم زفرت زفرة
 تحولت عبرة سالت على خدها لؤلؤا رطباً فما تمالك روبر ان رآها حتى
 سال قلبه عقيقا على اثرها فقال عفوا يا حياتي . عما فرط مني فما انا الا بائس
 مسكين عاثر الحظ - واني لكذلك يا روبر واعلم باني شعرت بميل اليك حين
 وقعت عيني عليك لأول مرة يدلك على ذلك ضعفي عن مقاومتك وصدك
 عني - فاذا كان ما تقولينه صحيحا فما الذي يحملك على ارجاء زمن ههنا
 وسعادتنا - لعلك تنسى اني غير مطلقة السراح واني اقسمت يمين الامة
 لزوجي يوم الزفاف - حسن وما قولك بالطلاق - انه لو تم لاضاع علي
 حضانة وحيدتي وما اري نفسي قادرة على الافتراق عنها - فما العمل اذن -
 علينا بالانتظار والليالي كما تعلم من الزمان حبالى يلدن كل عجيبة فقد يمكن ان
 اصير ارملة - يالها من فكرة يضع فيها الشك مع اليقين - ولكن من
 يدري فقد حلمت بالامس انك تبارزت مع زوجي وانك كنت تهزحسا ما
 هائلا فيتراجع امامه خصمك وانت تلاحقه حتى غرزه في بطنه فالتشق
 كما تنشق القربة - نعم واني لا انكر اني اكره زوجك حتى اتنى له الموت
 على ان روبر لو سلط رشده وعقله على قلبه ووعى قليلا فازاح الغرض
 الذي يغشي على عينيه لتبين انه ليس على الاميركاني من حرج الا انه يهوى

امراته وهي موضوع مشتبه بل لوجده زوجاً كما تريد اصطلاحات الناس
وتقاليدهم ان يكون وفوق ذلك كثير الجاملة والتلطف معه بحيث لا يمر يوم
دون ان يدعوه الى الغداء او العشاء عنده

جرى الحديث السالف بين العاشقين على شاطئ البحر بينا كانت امواجه
تترامى على اقدام اليس فتقبلها وما انتهيا منه على ما رويننا حتى دق جرس
الظهر فقال روبر لصاحبه لقد ادر كنا نصف النهار وان اوان الاستحمام اذا
لم تشائي ان تغذي متأخرة - هاءنذا نازلة الى البحر ولكن اين زوجي فاني
لا اراه . فتناول روبر للحال نظارته وصوبها الى البحر يفتش عن زوج اليس
وظل ينقل نظره من ناحية الى اخرى حتى تبين بعيداً نقطة سوداء تتلاعب
بها الامواج فقال اني اراه مديراً وجهه الى هنا مما يدل على انه يتجه اليها
ولكني اراه مع ذلك يبعد عنا . ثم تناولت اليس منه النظارة وماصوبتها على
الحل الذي دلها عليه روبر حتى قالت له لقد اصبحت واني اظن ان التيار
يدفعه بعيداً ولكن الى اين انت ذاهب - اني ذاهب اخبر صاحب الحمام
لاعداد قارب الانقاذ - وعلام انت مستعجل هذا الاستعجال - ان الرجل
لني اشد حالات الخطر . انظري انه يرفع ذراعه للاستغاثة ومن يدري اذا
كنا ندركه فتمكن من خلاصه قبل فوات الوقت - مهلا يا روبر ودع
القدر ينفذ المسطور في لوحه

وكان يتقدح من عيني اليس عندما فاهت بهذه الكلمات شرار او شك ان
يتكرب منه روبر فيقع صريع الاذعان لتجربتها هذه الشريرة فاجابها وهل
كنت تحسبن اني استحل مشرتى سعادتي ونعيمي بارتكاب مثل هذه الخساسة
السافلة والتحاف هذا العار الذميم كلا ثم كلا . ثم تركها واسرع الى صاحب

الحمام فيها القارب وركبه متجها نحو الفريق فما قرب منه حتى كان قد سحبه تيار قوي الى ابعد ثم تداولته الامواج وابتاعته اللجة بالرغم عما ابداه من المقاومة العنيفة فلم يتردد روبرلدى هذا المشهد عن ان التقي بنفسه مخاطراً بحياته وغاص في الماء ثم عاد بعد بضع دقائق وهو يحمل الفريق جثة لا حراك بها فنقلها الى الشاطئ وهناك بذل لها من صنوف العناية ما استعاد اليها الروح وردها الى الحياة . وكان قد نفي الخبر الى بعض الافراد فتراكضوا من كل جانب وشهدوا ما بدا من روبر فتقدموا كلهم واحداً اثر واحد يصاخونه ويشكرونه على مروءته وبسالته الا اليس فانها لم تتحرك اولاً من مكانها ولكن عادت فرأت ان لا مندوحة لها عن اداء فريضة الشكر لمنقذ زوجها فتقدمت متباطئة الخطى مقرحة الجفون من بكاء الغيظ فقالت له على مسمع من الحضور ولكن بلهجة الممثل على الملعب اني مديونة لك ايها الصديق بحياة زوجي وهي يدك عندي لن انساها ابداً . ثم مالت على اذنه فنفتخ فيها كما تنفخ الافي سمها كلمات ملوؤها الحقد والغيظ لم يسمعها سواه وهي قولها تباً لك من احمق غبي

